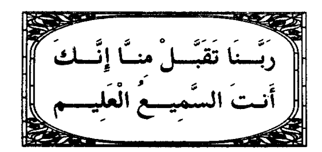


وصــف النــــار

جمع وترتيب
محمـود المصـرى
(أبو عمار)

مؤسسة قرطبة
ت : ٧٧٩٥٠٢٧



بين يدى الكتاب

إن الحمد لـله نحمده ونسـتعينه ونسـتغفره ونعوذ بـالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئـات أعمالنا. من يهده الله فلا مضل لـه ومن يضلـل فلا هادى له. وأشـهد أن لا إله إلا الله وحـده لا شريك له وأشهـد أن محمداً عبـده ورسوله ﷺ. أما بعد:

فإن العـبد المؤمن يعيـش بين الخوف والرجاء وقـد امتلأ قلبه بحب رب الأرض والسماء... فـهو يسعى بكل حبٍ ووفاء لتحقيق العبودية لرب الأرض والـسماء ليفوز بالنعيمِ وينجو من العذاب والشقاء.

وما دام العـبد حيًا تدبّ فيـه الشهوات فلابد أن يُـغلِّب جانب الخوف على الرجاء فإذا حلَّت به السكرات عند فراق الدنيا فعليه أن يغلِّب جانـب الرجاء على الخوف ليلقى ربه (عز وجل) وهو حـسن الظن به فقـد قال ﷺ: «لا يموتن أحدٌ منكم إلا وهو يُحسن الظن بالله تعالى» (أخرجه مسلم).

وما دامت أرواحنا فى أجـسادنا فتعالوا بنا لنـعرف شيئًا يسيرًا عن النـار عسى أن تلين قلوبنا وتخشـع وتذل للعزيز

الغـفار. قـال تعـالى: ﴿ فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ٢٤).

وقال تعالى فى صفات عباد الرحمن: ﴿ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا (٦٥) إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٥: ٦٦)

وقال ﷺ: «اجعلوا بـينكم وبين النار حجـابًا ولو بشق تمرة» (صحيح الجامع: ١٥٣).

وقال ﷺ: «اتـقوا النـار ولو بشـق تمرة فإن لـم تجدوا فبكلمة طيبة» (متفق عليه).

وهذه الرسالة هى جزء مختصر من كتاب جديد سيصدر قريبًا - إن شاء الله - بعنوان: «رحلة إلى الدار الآخرة».

فأسأل الله (جل وعلا) أن يوقظ قلوبنا من الغفلة وأن يرزقنا حُسن الخاتمة... وصلي الله علي نبينا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

وكتبه أفقر خلق الله إلى الله

محمود المصرى

(أبو عمار)

•• التخويف من النار ••

* تالله لو عرف المؤمن ما فى النار من عذاب ونكال لم يهنأ بعيش ولم يغفل عـن طاعة الله لحظة واحدة ولم يتجرأ على معصيته حتى يلقاه.

وقال يوسف بن عطية عن المعلى بن زياد: كان هرم بن حيان يخرج فى بعض الليالى وينادى بأعلى صوته: عجبت من الجنـة كيف نام طالـبها، وعجـبت من النار كـيف نام هاربها، ثم يقول: ﴿ **أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ** ﴾ (الأعراف: ٩٧).

وقال أبو الجوزاء: لو وليت من أمـر الناس شيئًا اتخذت منارًا على الـطريق وأقمت عليها رجالاً يـنادون فى الناس: النار النار.

وقال تعالى: ﴿ **وَمَا هِيَ إِلاَّ ذِكْرَىٰ لِلْبَشَرِ (٣١) كَلاَّ وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِّلْبَشَرِ (٣٦) لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ** ﴾ (المدثر: ٣١ ـ ٣٧).

قال الحسن فى قوله تعالى: ﴿نَذِيراً لِّلْبَشَرِ﴾ قال: «والله ما أُنذر العباد بشىء قط أدهى منها» خرجه ابن أبى حاتم.

* وقال إبراهيم الـتيمى: ينبغى لمن لـم يحزن أن يخاف أن يكون من أهل النـار. لأن أهل الجنة قالوا ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾ (فاطر: ٣٤) وينبغى لمن لم يشفق أن يخاف أن لا يكون من أهل الجـنة لأنهم قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ (الطور: ٢٦).

•• النبى ﷺ يستعيذ بالله من عذابها ••

وها هو الحبـيب ﷺ الذى غفر الله له ما تقـدم من ذنبه وما تأخر يـستعيذ بالله مـن عذاب جهنم. . . بل لـقد كان يأمر أصحابه (رضى الله عنهم) أن يستعيذوا بالله من عذاب النار - بعد التشهد -.

فقـد كان ﷺ يـقول: «إذا فـرغ أحدكـم من الـتشـهد [الآخر] فليستـعذ بالله من أربع [يقول: اللـهم إنى أعوذ بك] من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن شر [فتنة] المسيح الدجال، ثم يدعو لنفسه بما بدا له» (أخرجه مسلم).

وقال أنس: كان أكثر دعاء النبى ﷺ ﴿رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ (البقرة: ٢٠١) (متفق عليه).

* وكيف لا يستعيذ النبى ﷺ بالله من عذابها وهو الذى رآها.

قال ﷺ: «أُتيتُ بالبراق، وهو دابةٌ أبيضُ طويلٌ، يضعُ حافرهُ عند منتهى طرْفه فلَمْ نُزايلْ ظهرَهُ أنا وجبريل حتى أتيتُ بيتَ المقدسِ، ففتحتْ لى أبوابُ السماءِ، ورأيتُ الجنةَ والنارَ» (صحيح الجامع: ١٢٨).

•• وأنذر عشيرتك الأقربين ••

ولما نزلت تلك الآية الكريمة قام النبى ﷺ ينذر قومه وعشيرته وابنته فاطمة (رضى الله عنها) من نار جهنم.

* عن أبى هريرة، قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الأَقْرَبِينَ﴾ (الشعراء: ٢١٤) دعا رسول الله ﷺ قريشًا فاجتمعوا، فعمّ وخصّ، فقال: «يا بنى كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد شمس أنقذوا أنفسكم من

النار، يا بنى عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بنى عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذى نفسك من النار، فإنى لا أملك لكم من الله شيئًا (أخرجه مسلم).

•• أولوا الألباب يستعيذون بالله من النار ••

إننا نؤمن جميعًا باليوم الآخر وبكل ما فيه من النعيم والعذاب لأننا نؤمن بالغيب الذى أخبر عنه ربنا (جل وعلا) وأخبر عنه نبينا ﷺ .

قال ﷺ : «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله وتؤمن بالجنة والنار والميزان وتؤمن بالبعث بعد الموت وتؤمن بالقدر خيره وشره» (صحيح الجامع: ٢٧٩٨).

* ولذلك قال تعالى عن المؤمنين أصحاب القلوب النقية والعقول السوية: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الأَلْبَابِ (١٩٠) الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلاً سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ

مَن تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾ (آل عمران: ١٩٠: ١٩٢).

•• خوف السلف من عذاب النار ••

وها هى باقة عطرة من أحوال سلفنا الصالح وخوفهم من عذاب النار.

* عن وهب بن منبه، قال: ما عُبد الله بمثل الخوف.

وقال أبو سليمان الدارانى: أصل كل خير فى الدنيا والآخرة الخوف من الله عز وجل، وكل قلب ليس فيه خوف الله فهو قلب خرب.

وقال الفضيل بن عياض: الخوف أفضل من الرجاء ما كان الرجل صحيحًا، فإذا نزل الموت فالرجاء أفضل.

وسُئل ابن المبارك عن رجلين أحدهما خائف والآخر قتيل فى سبيل الله عز وجل، قال: أحبهما إلىَّ أخوفهما.

وكان من السلف من إذا رأى النار اضطرب وتغيرت حاله. وقد قال تعالى: ﴿نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذْكِرَةً وَمَتَاعًا لِّلْمُقْوِينَ﴾ (الواقعة: ٧٣). قال مجاهد وغيره: يعنى أن نار

الدنيا تذكّر بنار الآخرة.

وقال الحسن: كان عمر رضى الله عنه ربما توقد له النار ثم يدنى يديه منها، ثم يقول: يا ابن الخطاب هل لك على هذا صبر.

* ورُوى من غير وجه أن على بن فضيل مات من سماع قراءة هذه الآية ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلا نُكَذِّبَ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنعام: ٢٧).

وسمع عمر بن الخطاب رضى الله عنه رجلاً يتهجد فى الليل ويقرأ سورة الطور فلما بلغ قوله تعالى: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ (الطور: ٧، ٨).... قال عمر: قسمٌ حق ورب الكعبة، ثم رجع إلى منزله فمرض شهرًا يعوده الناس لا يدرون ما مرضه.

وفى هذا المعنى يقول عبد الله بن المبارك رحمه الله تعالى:

إذا ما الليل أظلم كابدوه　　فيسفر عنهم وهم ركوع

أطار الخوف نومهم فقاموا　　وأهل الأمن فى الدنيا هجوع

وقال الحسن: إن لله عبادًا كمن رأى أهل الجنة مخلدين، وكمن رأى أهل النار معذبين. وقال أيضًا: والله ما صدّق عبدٌ بالنار قط إلا ضاقت عليه الأرض بما رحبت، وإن المنافق لو كانت النار خلف ظهره لم يصدق بها حتى يهجم عليها.

* وبالجملة فالخوف من عذاب جهنم لا ينجو منه أحد من الخلق، وقد توعد الله سبحانه خاصة خلقه على المعصية، قال الله تعالى: ﴿ ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴾ (الإسراء: ٣٩).

وقال في حق الملائكة المكرمين: ﴿ وَمَن يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَٰهٌ مِّن دُونِهِ فَذَٰلِكَ نَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴾ (الأنبياء: ٢٩).

وكان بعض السلف يقول: من عبد الله بالرجاء وحده فهو مرجيء، ومن عبده بالخوف وحده فهو حروري، ومن عبد الله بالحب وحده فهو زنديق، ومن عبده بالخوف والرجاء والمحبة فهو موحد مؤمن.

•• تحاجَّت النـار والجنـة ••

قال ﷺ : «احتجَّت الجنَّةُ والنارُ، فقالت الجنَّةُ: يدخلنى الضـعفاءُ والمساكينُ، وقالت النَّارُ: يدخلنى الجبارونَ والمتكبرونَ، فقالَ اللهُ للنـار: أنتِ عذابى، أنتقمُ بكِ ممنْ شئتُ، وقالَ للجنةِ: أنتِ رحمتى، أرحمُ بكِ منْ شئتُ، ولكلٍّ واحدةٍ منكما ملؤُها» (أخرجه مسلم).

•• إنما الأعمال بخواتيمها ••

قال ﷺ : «إنَّ الرجلَ ليعملُ الزمنَ الطويلَ بعمل أهل الجنَّة، ثم يختمُ لـه عملهُ بعملِ أهلِ النَّارِ، وإنَّ الرجلَ ليعملُ الزمنَ الطويلَ بعملِ أهلِ النَّارِ ثمَّ يختمُ [له] عملهُ بعملِ أهلِ الجنَّةِ» (أخرجه مسلم).

وفى رواية قال ﷺ : «إنَّ الرجلَ ليعمـلُ عملَ الجنَّة فيما يبدُو للناس، وهوَ منْ أهلِ النـار، وإن الرجلَ ليعملُ عملَ النارِ فيما يبدوُ للناس، وهوَ منْ أهلِ الجنة» (متفق عليه).

زاد البخارى: «وإنما الأعمال بخواتيمها».

* * *

•• أهل النار مُيسَّرون لعمل أهل النار ••

قال ﷺ : «إن الله قـبض قبـضة فقـال: هذه إلى الجـنة برحـمتي وقبـض قبضـة فقال: هـذه إلى النار ولا أبـالي» (صحيح الجامع: ١٧٨٤).

وقال ﷺ : «إن الله تعالى خلق الجنـة وخلق النار فخلق لهذه أهلاً ولهذه أهلاً» (اخرجه مسلم).

وقـال ﷺ : «إنَّ الله أخَـذَ ذُرِّيـةَ آدمَ مِـنْ ظَـهـرِهِ ثـمَّ ﴿أشهدهمْ على أنفُسهم ألستُ بربّكم قالوا بَلى﴾ ثم أفاضَ بهم فـى كفيهِ فقال: هـؤلاء فى الجنة، وهؤلاء فـى النار، فأهلُ الجنةِ مـيسرون لعملِ أهلِ الجنةِ، وأهلُ الـنارِ ميسرونَ لعمل أهل النارِ» (صحيح الجامع: ١٧٠٢).

* قال تـعالـى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝١١ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ﴾ (الليل: ٥ : ١٢).

عن على رضـى الله عنه قال: [كنَّا مع رسول الله ﷺ

فى بقيع الغرقد فى جنازة فقال: «ما منكم من أحد إلا وقد كُتب مقعده من الجنة ومقعده من النار فقالوا يا رسول الله أفلا نتكل؟ فقال اعملوا فكل مُيسر لما خُلق له» ثم قرأ ﴿فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى ـ إلى قوله ـ للعسرى﴾ (أخرجه البخارى).

•• أنا عند ظن عبدى بى ••

وقال تعالى فى الحديث القدسى: «أنا عند ظن عبدى بى إن ظنَّ خيرًا فله وإن ظن شرًا فله» (صحيح الجامع: ٤٣١٥).

فإذا حقق العبد التوحيد لله (جل وعلا) ولكنه كان مُقصرًا فى طاعة الله أو كان طائعًا لله ولكنه كان مصرًا على بعض الذنوب والآثام فإن رجاءه فى الله وحُسن ظنه به ينفعه حتى وإن دخل النار.

قال ﷺ: «يخرج من النار أربعة، فيُعرضون على الله عز وجل، فيلتفت أحدهم، فيقول: أى رب إذ أخرجتنى منها فلا تُعدنى فيها، قال: فينجيه منها» (أخرجه مسلم).

وخرجه ابن حبان فى «صحيحه» وعنده «فيلتفت

فيقول: يا رب مـا كان هذا رجائى فيك، فيـقول: ما كان رجاؤك؟! قال: كان رجائى إذ أخرجتنى منها أن لا تعيدنى فيها، فيرحمه الله فيُدخله الجنة».

•• لا تأمن على نفسك من النار ••

قال ﷺ: «إنَّ الله تعالى خـلقَ الرحمة يومَ خلقَـها مائة رحمة، فأمـسكَ عندهُ تسعًـا وتسعينَ رحمـةً، وأرسل فى خلقهِ كلهمْ رحمة واحدةً، فلوْ يـعلمُ الكافرُ بكُلِّ الذى عندَ الله مَنَ الرحمةِ لم ييأسْ منَ الجنَّـة، ولوْ يَعلمُ المؤمنُ بالذى عند الله منَ العَذابِ لم يأمنْ منَ النارِ» (متفق عليه).

* فلا تأمن على نفسك من الـنار أيها الأخ الحبيب فقد يدخل الإنسان تلك النار بكلمة يسيرة لا يُلقى لها بالاً.

قال ﷺ: «إن الرجل ليـتكلم بالكلمة لا يـرى بها بأسًا يهوى بها سبعين خريفًا فى النار» (صحيح الجامع: ١٦١٨).

وقال ﷺ: «إن العبد ليتكلم بالكـلمة ما يتبين فيها يزل بها فى النار أبعد ما بين المشرق والمغرب» (متفق عليه).

•• حُفت النـار بالشهوات ••

قال ﷺ: «حُـجبت الـنار بالـشهوات وحُـجبت الجـنة

بالمكاره» (أخرجه البخارى).

وقال ﷺ: «حُفَّت الجنة بالمكاره وحُفَّت النار بالشهوات» (أخرجه مسلم).

وقال ﷺ: «لما خلق الله النار أرسل إليها جبريل قال له: إذهب فانظر إليها وإلى ما أعددت لأهلها، قال: فنظر إليه، فإذا هى يركب بعضها بعضًا، فرجع فقال: وعزتك لا يدخلها أحد سمع بها. فأمر بها فحُفت بالشهوات، ثم قال له: اذهب فانظر إلى ما أعددت لأهلها فيها، فذهب فنظر إليها ورجع، فقال: وعزتك لقد خشيت أن لا ينجو منها أحد إلا دخلها» (صحيح الجامع: ٥٢١٠).

•• لها سبعة أبواب ••

قال تعالى عن أبواب جهنم: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ (٤٣) لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ (الحجر: ٤٣: ٤٤).

وقال ﷺ: «الجنة لها ثمانية أبواب والنار لها سبعة أبواب» (صحيح الجامع: ٣١١٩).

•• الجنة درجات والنار دركات ••

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيراً﴾ (النساء: ١٤٥)..... وقال بعضهم: الجنة درجات والنار دركات.

وقد تسمى النار درجات أيضًا كما قال تعالى بعد أن ذكر أهل الجنة وأهل النار ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا﴾ (الأنعام: ١٣٢).

قال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم. درجات الجنة تذهب علوًا ودرجات النار تذهب سفولا.

وعن ابن جريج فى قوله: (لها سبعة أبواب) قال: جهنم ثم لظى ثم الحُطمة ثم السعير ثم سقر ثم الجحيم ثم الهاوية وفيها أبو جهل.

•• إنها عليهم مؤصدة ••

وأهل النار يعانون من الشدائد بعد الشدائد.... فأبواب جهنم تُغلق على أهلها.

قال تعالى: ﴿عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌ﴾ (البلد: ٢٠). وقال

تعالى: ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ۝٨ فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾ (الهمزة: ٨: ٩).

بل إن سرادق جهنم يحيط بأهل النار... قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ (الكهف: ٢٩).

•• عمق جهنم ••

لقد ذكرنا قول النبى ﷺ: «إن الرجل ليتكلم بالكلمة لا يرى بها بأسًا يهوى بها فى النار سبعين خريفًا» (صحيح الجامع: ١٦١٨).

وعن أبى هريرة قال: كنا عند النبى ﷺ يومًا فسمعنا وجبة، (أى: سقطة) فقال النبى ﷺ: «أتدرون ما هذا؟» فقلنا: الله ورسوله أعلم، قال: «هذا حجر أُرسل فى جهنم منذ سبعين خريفًا، فالآن انتهى إلى قعرها» (اخرجه مسلم).

•• النار سوداء مظلمة ••

قال تعالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ۝٤٩ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ (إبراهيم: ٤٩: ٥٠).

وعن أبى بن كعب قال: ضرب الله مثلاً للكافرين قال: ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ﴾ (النور: ٤٠)، فهو يتقلب فى خمس من الظُّلم: كلامه ظُلمة، وعمله ظلمة، ومدخله ظلمة، ومخرجه ظلمة ومصيره إلى الظلمات إلى النار.

* وعن أبى هريرة قال: «أُوقد على النار ألفَ سنة حتى احمرتْ، ثم أوقِدَ عليها ألفَ سنة حتى ابيضتْ، ثمَّ أوقدَ عليها ألفَ سنة حتى اسودَّتْ، فهِىَ سوداءُ مُظلمَةٌ، كاللَّيل المُظلم» (حسن بشواهده لكنه موقوف على أبى هريرة).

•• شدة حرها ••

قال تعالى: ﴿قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ﴾ (التوبة: ٨١).

وفى الصحيحين عن أبى هريرة عن النبى ﷺ، قال: «ناركم هذه التى يوقد بنو آدم جزء واحد من سبعين جزءًا من نار جهنم» قالوا: والله إن كانت لكافية قال: «إنها فُضلت عليها بتسعة وستين جزءًا كلهن مثل حرها» [رواه مالك بإسناد صحيح)، وخرجه الإمام أحمد وزاد فيه «ضُربت بالبحر مرتين، ولولا ذلك ما جعل الله فيها منفعة لأحد».

* وعن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «هذه النار جزء من مئة جزءٍ من جهنم» (رواه أحمد بإسنادٍ حسن).

وعن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «اشتكت النار إلى ربها فقالت: يارب أكل بعضى بعضًا فنفّسنى، فأذن لها فى نفسين، نفس فى الشتاء ونفس فى الصيف، فأشد ما تجدون من الحر سمومها وأشد ما تجدون من البرد زمهريرها» (متفق عليه).

•• أودية جهنم ••

قال تعالى: ﴿فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ (مريم: ٥٩).

قال ابن مسعود (رضى الله عنه) فى قوله تعالى: «فسوف يلقون غيًا»: وادٍ فى جهنم بعيدٌ قعره خبيثٌ طعمه.

•• سجن للمتكبرين فى نار جهنم ••

قال تعالى ـ فى الحديث القدسى ـ: «الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى واحدًا منهما قذفته فى النار» (صحيح الجامع: ٤٣١١).

فلا ينبغى لعبدٍ أن يتكبر أبدًا فمن فعل ذلك فقد حقّ عليه عذاب الله (عزّ وجل).

* قال ﷺ مصورًا هذا المشهد من مشاهد يوم القيامة.

«يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر فى صورة الناس يعلوهم كل شىء من الصَغار حتى يدخلوا سجنًا فى جهنم يقال له: بولس تعلوهم نار الأنيار يُسقون من طين الخبال عصارة أهل النار» (صحيح الجامع: ٨٠٤٠).

•• سلاسل وأغلال جهنم ••

قال تعالى: ﴿إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالاً وَسَعِيرًا﴾ (الإنسان: ٤).

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ (الحاقة: ٣٢).

قال ابن عباس: السلسلة تدخل فى إسته، ثم تخرج من فيه، (أى: من فمه) ثم يُنظمون فيها كما ينظم الجراد فى العود حتى يُشوى.

* * *

•• طعام أهل النار ••

قال تعـالى: ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ (٤٣) طَعَامُ الأَثِيمِ (٤٤) كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ (٤٥) كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴾ (الدخان: ٤٣: ٤٦).

وعن ابن عباس أن النبى ﷺ قرأ هذه الآية: ﴿ اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)، فقال رسول الله ﷺ: «لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى دار الدنيا لأفسدت على أهل الدنيا معايشهم، فكيف بمن تكون طعامه؟» (صحيح الجامع: ٥٢٥٠).

* وقال تعالى: ﴿ لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلاَّ مِن ضَرِيعٍ ﴾ (الغاشية: ٦).

قال ابن عباس عن الضريع: إنه شجر فى جهنم.

* وقال تعالى: ﴿ فَلَيْسَ لَهُ الْيَوْمَ هَاهُنَا حَمِيمٌ (٣٥) وَلا طَعَامٌ إِلاَّ مِنْ غِسْلِينٍ ﴾ (الحاقة: ٣٥: ٣٦).

قال ابن عباس عن الغسلين: إنه صديد أهل النار

* وقال تعالى: ﴿ إِنَّ لَدَيْنَا أَنكَالاً وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا

غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا ﴾ (المزمل: ١٢ : ١٣).

روى الإمام أحمد بإسناده عن عكرمة عن ابن عباس فى قوله: ﴿وَطَعَامًا ذَا غُصةٍ﴾. قال: شوك يأخذ بالحلق لا يدخل ولا يخرج.

•• شراب أهل النار ••

قال تعالى: ﴿ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾ (الكهف: ٢٩).

وقال تعالى: ﴿ مِّن وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ (١٦) يَتَجَرَّعُهُ وَلا يَكَادُ يُسِيغُهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَائِهِ عَذَابٌ غَلِيظٌ ﴾ (إبراهيم: ١٦ : ١٧).

وقال تعالى: ﴿ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴾ (محمد: ١٥).

وقال تعالى: ﴿ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ ﴾ (ص: ٥٧ : ٥٨).

فهذه أربعــة أنواع ذكرناها من شرابهــم، وقد ذكرها الله فى كتابه:

النوع الأول ـ الحميم:

قال شبيب بن عكرمة عــن ابن عباس: حميم آن: الذى قد انتهى غليه.

النوع الثانى ـ الغساق:

قال ابن عباس: الغساق: ما يســيل من بين جلد الكافر ولحمه، وعنه قــال: الغساق: الزمهرير الــبارد الذى يحرق من برده.

النوع الثالث ـ الصديد:

قال مجاهد فى قــوله تعالى: ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّاءٍ صَدِيدٍ﴾ (إبراهيم: ١٦)، قال: يعنى القيح والدم.

وعن جابر عــن النبى ﷺ قال: «إن علــى الله عهدًا لمن شرب المسكرات لـيسقيه من طينة الخبــال، قالوا: يا رسول الله؛ وما طيــنة الخبال؟ قــال: عرق أهل النــار، أو عصارة أهل النار» (أخرجه مسلم).

النوع الرابع - الماء الذى كالمهل:

قال مجاهد: بماء كالمهل: مثـل القيح والدم أسود كعكر الزيت.

•• ملابس أهل النار ••

قال الله تعـالى: ﴿وَتَرَى الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٤٩﴾ سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ النَّارُ﴾ (إبراهيم: ٤٩ : ٥٠).

وقال ﷺ: «النـائحة إذا لم تـتب قبل مـوتها تقـام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب» (اخرجه مسلم)

قال الله تعالى: ﴿فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ﴾ (الحج: ١٩). . . ، وكان إبـراهيم التـيمى إذا تلا هـذه الآية يقول: سبحان من خلق من النار ثيابًا.

•• أسرة أهل النار ••

قال تعالـى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾ (الأعراف: ٤١).

أى: لهم فراش من النار من تحتهم «ومن فوقهم غواش»

أى ومن فوقهم أغطية من النار.

•• صفات أهل النار ••

لقد ذكر الله (جل وعلا) بعض صفات أهل النار.... وكذلك ذكر النبى ﷺ بعض صفاتهم فإليكم بعض هذه الصفات التى نسأل الله (عز وجل) ألا يجعل لنا فيها حظًا ولا نصيبًا.

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلاَّ أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّىٰ أَتَانَا الْيَقِينُ﴾ (المدثر: ٣٨: ٤٧).

وفى «الصحيحين» عن حارثة بن وهب، عن النبى ﷺ، قال: «ألا أخبركم بأهل الجنة: كل ضعيف متضعف لو أقسم على الله لأبرَّه، ألا أخبركم بأهل النار كل عُتُلٍ جواظ مستكبر» (متفق عليه).

•• أهل النار خمسة ••

قال ﷺ: «... وأهل النار خمسة: الضعيف الذى لا

زَبر له الذين هم فيكم تبع لا يبغون أهلاً ولا مالاً، والخائن الذى لا يخفى له طمع وإن دقّ إلا خانه، ورجل لا يصبح ولا يمسى إلا وهو يخادعك عن أهلك ومالك» وذكر البخل والكذب والشنظير الفاحش (اخرجه مسلم).

ويعنى بالزَبر: القوة والحرص على ما ينتفع به صاحبه فى الآخرة من التقوى والعمل الصالح.

•• أكثر أهل النار ••

أهل النار الذين هم أهلها على الحقيقة هم الذين يخلدون فيها، ولهم أُعدت، كما قال تعالى: ﴿**أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ**﴾ (البقرة: ٢٤).

روى أبو سعيد الخدرى عن النبى ﷺ قال: «يقول الله عز وجل يوم القيامة: يا آدم فيقول: لبيك وسعديك، فينادى بصوت: إن الله يأمرك أن تُخرج بعث النار من ذريتك، قال: يارب وما بعث النار، قال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون...» (متفق عليه).

فهذه الأحاديث وما فى معناها تدل على أن أكثر بنى آدم من أهل النار، وتدل أيضًا على أن أتباع الرسل قليل

بالنسبة إلى غيرهم.

* وقد وردت الأحـاديث على أن هـذه الأمة ستفـترق على بضـع وسبعين فرقـة كلها فى النـار إلا فرقة واحدة، وكثير منهم أيضًا فُتن بالشهوات المحرمة المتوعد عليها بالنار - وإن لم يقـتض ذلك الخلـود فيها - فلـم ينج من الـوعيد بالنار.

فأما عصاة الموحدين فأكثر من يدخل النار منهم النساء.

ففى «صحيـح مسلم» عن ابن عباس، عـن النبى ﷺ، قال: «اطلعت فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء».

•• الحمى.. حظ المؤمن من نار جهنم ••

إن العـبد إذا كـان يعيـش على طـاعة الله (عـز وجل) وأصيب بالحُمى فإن الله يجعلهـا - برحمته - نصيبه من نار الآخرة.

قال ﷺ: «أبشر فإن الله تعالى يقول: هى نارى أُسلطها علـى عبدى المؤمـن فى الدنيـا لتكون حـظه من النـار يوم القيامة» (صحيح الجامع: ٣٢).

•• هذا نزلهم يوم الدين ••

قال أبـو عمران الجونـى: بلغـنا أن أهل الـنار يُبعـثون عطاشًا ثم يقفون مشاهد القيامة عطاشًا، ثم قرأ: ﴿وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا﴾ (مريم: ٨٧).... قال مجاهد فى تفسير هذه الآية. متقطعة أعناقهم عطشًا.

قال الله عز وجل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ (٥١) لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ (٥٢) فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ (٥٣) فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ (٥٤) فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ (٥٥) هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ (الواقعة: ٥١ ـ ٥٦)، والنُّزل هو مـا يُعد للضيف عند قدومه.

وقال أيـوب عن الحسـن: ما ظنـك بقـوم قاموا عـلى أقدامهم خمسين ألف سنة لم يـأكلوا فيها أكلة ولم يشربوا فيها شربة حتى انقطعت أعنـاقهم عطشًا واحترقت أجوافهم جوعًا، ثم انصرف بـهم إلى النار فيُسقون من عـين آنية قد آن حرها واشتد نضجها.

•• مجىء جهنم ••

تأمل فى حال الخلائق وقد قاسـوا من دواهى القيامة ما

قاسوا، فبينما هم فى كربها وأهوالها وقوفًا، ينتظرون حقيقة أنبائها، وتشفيع شفعائها، إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شُعب، وأظلت عليهم نار ذات لهب، وسمعوا لها زفيرًا وجرجرة تُفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجرمون بالعطب، وجثت الأمم على الركب، حتى أشفق الأتقياء من سوء المنقلب. وخرج المنادى من الزبانية قائلا: أين فلان بن فلان المسوف نفسه فى الدنيا بطول الأمل، المضيع عمره فى سوء العمل؟ فيبادرونه بمقامع من حديد، ويستقبلونه بعظائم التهديد، ويسوقونه إلى العذاب الشديد، وينكسونه فى قعر الجحيم، ويقولون له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] فأسكنوه دارًا ضيقة الأرجاء، مظلمة المسالك، مبهمة المهالك، يخلد فيها الأسير، ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحميم، ومستقرهم الجحيم، الزبانية تقمعهم، والهاوية تجمعهم، أمانيهم فيها الهلاك، وما لهم منها فكاك، قد شُدت أقدامهم إلى النواصى، واسودت وجوههم من ظلمة المعاصى، ينادون من أكنافها ويصيحون فى نواحيها وأطرافها: يا مالك قد حق علينا الوعيد، يا مالك قد أثقلنا

الحديد، يامــالك قد نضجت مــنا الجلود، يامالــك أخرجنا منها فإنا لا نعود، فتقول لهــم الزبانية : هيهات هيهات لا خروج لكم من دار الهوان. فلا ينجــيهم الندم، ولا يغنيهم الأسف فهم غرقى فى النار، طــعامهم نار، وشرابهم نار، ولباســهم نار، ومهادهــم نار فهم بــين مقطعات الــنيران، وسرابيــل القطران، وضرب المقــامع وثقل السلاســل، فهم يتــجلجــلون فى مــضائقــها، ويتــحطمــون في دركاتــها، ويضطربون بين غــواشيها، تغلى بهم النــار كغلى القدور، ويهتفــون بالويل والعويل، ومــهما دعوا بالثبور ُصبّ من فوق رؤوسهم الحمــيم، يُصهر به ما فى بطــونهم والجلود، ولهــم مقامع مــن حديد، تهــشم بهــا جباههــم، فيتفــجر الصديد من أفواههم، وتنقطع من العطش أكبادهم، وتسيل على الخدود أحداقهم، كلما نضجت جلودهم بُدلوا جلودًا غيرها. . . . وكســرت عظامهم، وجُدعت آذانهــم وأُعميت أبصارهــم وأُبكمت ألســنتهم وغُلت أيــديهم إلى أعنــاقهم وجمع بــين نواصيهــم وأقدامهم، وهــم يمشون علــى النار بوجوههم، ويطأون حسك الحديد بــأحداقهم، فلهيب النار سار فى بواطن أجزائهم، وحيات الهــاوية وعقاربها متشبثةً

بظواهر أعضائهم. هذا بعض جملة أحوالهم.

تذكَّر وقوفك يـوم العـرض عُريانا
مستوحشاً قَلِـقَ الأحشـاء حيرانـا
والنار تَلـهب من غيـظ ومـن حَنـقٍ
على العُصاة ورب العـرش غضبانـا
اقـرأ كتابـك يـا عبـدُ على مَهَـلٍ
فهل ترى فيه حرفـاً غـير ما كانـا
فلمـا قـرأت ولـم تُنكـر قراءته
وأقررت إقرار مَنْ عرف الأشياء عِرفانا
نادى الجليـل خـذوه يـا ملائكتـي
وامضـوا بعبـدٍ عصـى للنـار عطشانـا
المشركـون غـداً في النـار يلتهبـوا
والموحـدون بـدار الُخلـد سكّانـا

•• النار يوم القيامة تسمع وتبصر وتتكلم!!! ••

* عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «يخرج عنق من

النار يوم القيامة له عينان يبصران، وأذنان يسمعان، ولسان ينطق، يقول: إني وكلت بثلاثة: بكل جبار عنيد وبكل من دعا مع الله إلها آخر، وبالمصورين» (صحيح الجامع: ٨٠٥١).

قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا (١١) إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ (الفرقان: ١١: ١٢).

•• عينان لا تمسهما النار ••

روى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «لا يلج النار رجل بكى من خشية الله حتى يعود اللبن في الضرع» (صحيح الجامع: ٧٧٧٨).

وعن ابن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عينان لا تمسهما النار أبدًا.... عين بكت من خشية الله، وعين باتت تحرس في سبيل الله» (صحيح الجامع: ٤١١٣).

* بل إنه من السبعة الذين يُظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله: «ورجل ذكر الله خاليًا ففاضت عيناه» (متفق عليه).

* * *

•• بكاء أهل النار ••

قال ﷺ : «يُرسَـل البكاء على أهـل النار فيبكـون حتى تنقـطع الدموع ثم يـبكون الدم حتـى يصير فى وجـوههم كهيئة الأخدود لو أُرسلت فيها السفن لجرت» (صحيح الجامع: ٨٠٨٣).

•• فداؤك من النار ••

قال ﷺ : «إذا كـان يوم القـيامة أعطـى الله تعالـى كل رجلٍ من هذه الأمة رجلاً من الكـفار فيقال له: هذا فداؤك من النار» (اخرجه مسلم).

* وقال ﷺ فى قولـه تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (المؤمنون: ١٠: ١١).

«ما مـنكم مـن أحد إلا له مـنزلان: مـنزلٌ فى الجـنَّة، ومنزلٌ فى الـنَّار، فإذا مات فدخل النَّـار، ورث أهلُ الجنَّة منزلَه، فذلك قول: ﴿هُم الوارِثُونَ﴾ (صحيح الجامع: ٥٧٩٩).

•• أهون أهل النار عذابًا ••

* وعن الـنعمان بـن بشيـر رضى الله عنه؛ قـال: قال رسول الله ﷺ : «إن أهـون أهل النار عـذابًا من له نـعلان

وشراكان من نار يغـلى منهما دماغه كما يـغلى المرجل، ما يرى أن أحدًا أشد مـنه عذابًا، وإنه لأهونـهم عذابًا» (أخرجه مسلم).

* وعن ابن عباس رضى الله عنهما؛ أن رسول الله ﷺ قال: «أهون أهل النار عذابًا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلى منهما دماغه» (أخرجه مسلم).

•• يتمنى الكافر أن يفدى نفسه (من العذاب) بأهل الأرض جميعًا ••

يا له من مشهد يخلع القلوب ويُفتت الجبال.

إنه مشهد رجل كـافر يأتى يوم القيامة فيـتمنى أن يفدى نفسه من عـذاب النار بأولاده وزوجته وأخيه وعـشيرته بل بأهل الأرض جميعًا.

قال تعالى: ﴿ يَوَدُّ الْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِي مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تُؤْوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِي الأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ ﴿١٤﴾ كَلاَّ إِنَّهَا لَظَىٰ ﴿١٥﴾ نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ ﴿١٦﴾ تَدْعُو مَنْ أَدْبَرَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٧﴾ وَجَمَعَ فَأَوْعَىٰ ﴾ (المعارج: ١١:١٨).

* بل إن الكافر لو جاء يوم القيامة بملء الأرض ذهبًا فلن يستطيع أن يفدى نفسه (بكل هذا الذهب) من عذاب الله .

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لِيَفْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (المائدة: ٣٦).

•• الله يكلم أهون أهل النار عذابًا ••

قال ﷺ: «إنَّ الله تعالى يقولُ لأهونِ أهلِ النارِ عذابًا: لوْ أنَّ لكَ ما في الأرض منْ شيءٍ كنتَ تفتدى به؟ قالَ: نعم، قال: فقدْ سألتُك ما هوَ أهونُ منْ هذا وأنتَ فى صُلبِ آدم أنْ لا تشركَ بى شيئًا فأبيتَ إلاَّ الشِّركَ!» (متفق عليه).

•• أول من تسعر بهم النار ••

قال ﷺ: «إنَّ أولَ الناسِ يُقضى يومَ القيامة عليه رجلٌ استشهد، فأتىَ به، فعرَّفهُ نعمَهُ، فعرفها، قال: فما عملتَ فيها؟ قال: قاتلتُ فيكَ حتّى استشهدتُ، قال: كذبتَ، ولكنَّكَ قاتلتَ ليقالَ جريءٌ، فقد قيلَ، ثمَّ أمرَ به فسحب

على وجهه حتى أُلقى فى النارِ، ورجلٌ تعلمَ العلمِ وعلمَهُ، وقرأ الـقرآنَ، فأتى بـهِ فعرفه نـعمهُ، فعـرفها، قال: فـما عملـتَ فيها؟ قال: تـعلمتُ العلـمَ وعلمتهُ، وقـرأت فيكَ القرآنَ، قالَ: كذبتَ، ولـكنكَ تعلمتَ العلم لـيقالَ عالمٌ، وقرأت الـقرآن لـيقالَ: هـو قارىءٌ فـقد قيـلَ، ثمَّ أمـرَ به فسُحبَ علـى وجهه حتى ألقى فى الـنار، ورجلٌ وسَّعَ الله عليهَ، وأعطاهُ مـن أصناف المال كُله، فأتى به فعـرَّفهُ نعمهُ فعرفها، قالَ: فـما عملتَ فيها؟ قال: ما تـركتُ منْ سبيلٍ يُحبٌّ أنْ ينفقَ فيها إلا أنفتُ فيها لكَ، قالَ: كذبتَ ولكنكَ فعلت ليقالَ: هوَ جوادٌ، فقد قيلَ: ثمَّ أمرَ بهِ فسحبَ على وجههِ، ثمَّ ألقى فى النارِ» (اخرجه مسلم).

•• تفاوت درجات العذاب على أهل النار ••

قال تعالى عن أهل النار: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ﴾ (الأعراف: ٣٨).

وقال تعالى: ﴿ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا

فِي النَّارِ﴾ (ص: ٦١)

* عن سمرة بن جندب رضـى الله عنه عن النبى ﷺ ؛ قال: «منهم من تـأخذه النار إلى كعبيه، ومنـهم من تأخذه النـار إلى ركبتـيه، ومنهـم من تأخذه الـنار إلى حجـزته، ومنهم مـن تأخذه النار إلى عنـقه، ومنهم من تـأخذه النار إلى ترقوته» (أخرجه مسلم).

•• زيادة أهل النار من العذاب ••

وعن عبد الله بن مسعود فـى قول الله تعالى: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَـوْقَ العَذَابِ﴾ قال: زِيدُوا عقَـارِبَ أنيَابُهَا كالـنَّخْلِ الطِّوَالِ.

* وعن ابن عباس أنه قالَ فى قوْل الله تعالى: ﴿زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ العَـذَابِ﴾ قالَ: هِيَ خَمْسَةَ أنهارٍ تَـحْتَ العَرْشِ يُعَذَّبُونَ بِبعْضِهَا باللَيْل وبِبعْضِهَا بِالنَّهار.

•• جملة من عذاب أهل النار ••

وها هـى جملة مـن أنواع وألوان الـعذاب الذى يُسـلَّط على أهل النار فى نار جهنم ـ أعاذنا الله وإياكم منها ـ فمن بين أنواع العذاب الذى يتعرضون له:

* تسويد وجوههم

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ (الزمر: ٦٠).

* عذاب الصهر

قال تعالى: ﴿ هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِّعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ (١٩) يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ (٢٠) وَلَهُم مَّقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴾ (الحج: ١٩: ٢١).

* يُسحبون على وجوههم فى النار

ومن أنواع العذاب الذى يُصب على أهل النار أنهم يُسحبون على وجوههم فى النار.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلالٍ وَسُعُرٍ (٤٧) يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴾ (القمر: ٤٧، ٤٨).

* تلفح وجوههم النار

قال تعالى: ﴿ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴾

(المؤمنون: ١٠٤).

*** ينسى كل نعيم مع أول غمسة فى النار**

قال ﷺ: «يُؤتى بأنعمَ أهل الدُّنيا من أهل النار يومَ القيامة، فيُصبَغُ فى جهنم صبغَةً، ثم يقال له: يا ابن آدم هل رأيتَ خيرًا قط؟ هل مرَّ بك نعيمٌ قط؟ فيقول: لا والله يارب، ويؤتى بأشد الناس بؤسًا فى الدُّنيا من أهل الجنة، فيُصبَغُ فى الجنة صبغةً، فيُقال له: يا ابن آدم! هل رأيت بؤسًا قط؟ هل مرَّ بك شدةٌ قط؟ فيقول: لا والله يارب! ما مرَّ بى بؤسٌ قط، ولا رأيت شدَّةً قط».

*** يتمنى الموت ولا يجده**

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا وَلا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾ (فاطر: ٣٦).

*** منهم من يدور فى النار ويجر أمعاءه**

وهذا مثلٌ لعالم من علماء السوء الذين كانوا يأمرون الناس بالمعروف ولا يفعلونه وينهون الناس عن المنكر

ويفعلونه.

قال تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلا تَعْقِلُونَ ﴾ (البقرة: ٤٤).

وعن أسامة بن زيد عن النبى ﷺ قال: «يؤتَى بالرجل فيلقى فى النار فتندلق أقتابه فى النار، فيدور كما يدور الحمار برحاه، فيجتمع أهل النار عليه، فيقولون: أى فلان ما شأنك ألست كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر؟ قال: بلى كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكر وآتيه» (متفق عليه).

* **ومنهم من يقتل نفسه فى النار كما فعل بنفسه فى الدنيا**

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال: «من قتل نفسه بحديدة، فحديدته فى يده يتوجأ بها فى بطنه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن شرب سمًا فقتل نفسه فهو يتحساه فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا، ومن تردى من جبل فقتل نفسه فهو يتردى فى نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا» (متفق عليه).

* **ومنهم من تأكله النار إلى فؤاد**

قال الله تعالى: ﴿ كَلاَّ لَيُنبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَا أَدْرَاكَ مَا

الْحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ ۝٦ الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ ﴾ (الهمزة: ٤ ـ ٧).

*** ومنهم من له لسانان من النار**

وقد ورد أن بعـضهم له لســانان من نار، ووجــهان من نار، ففى «ســنن أبى داود» عن عمار عن الـنبى ﷺ قال: «من كان له وجهان فى الدنيا كان له يوم القيامة لسانان من نار» (السلسلة الصحيحة: ٨٩٢).

*** ومنهم من تُمسخ صورهم**

ومنهــم من تمسخ صورته عــلى صورة قبيــحة... وفى «الصحيح» أن إبــراهيم ـ عليه السلام ـ إذا شـفع فى أبيه، قيل له: يا إبــراهيم انظر ما وراءك، فإذا هو بــذيخ ملطخ، فيؤخذ بقوائمه، ويُلقى فى النار» (اخرجه البخارى).

والذيخ: الضبع الذكر.

*** ومنهم من يُلقى فى مكان ضيق**

ومنهم من يلقى فى مكان ضيق لا يتمكن فيه من الحركة لضيقه... قال الله عز وجل: ﴿ وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا ﴾ (الفرقان: ١٣)..... قال كعب:

إن فى جهنم تنانير ضيقها كضيق زج رمح أحدكم ثم يطبق على أناس بأعمالهم.

*** وعذابهم لا ينتهى أبدًا**

فعذاب أهل النار ـ الذين كتب الله عليهم الخلود فيها ـ لا ينتهى أبدًا.

وقال تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ**﴾ (الزخرف: ٧٤: ٧٥).

•• عظم خلق أهل النار وبشاعة منظرهم ••

قال ﷺ: «إن غلظ جلد الكافر اثنان وأربعون ذراعًا بذراع الجبار[1].

وإن ضرسه مثل أُحد وإن مجلسه من جهنم ما بين مكة والمدينة» (صحيح الجامع: ٢١١٤).

* عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «ما بين منكبى الكافر مسيرة ثلاثة أيام للراكب السريع» (متفق عليه).

(١) أى جبار من جبابرة الآدميين ممن كان فى القرون الأولى ممن كان أعظم خلقًا وأطول ذراعًا من الناس ـ كذا فى المستدرك عن شيخه أبى بكر ابن إسحاق

وخرّج مسلم أيضًا عن أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «ضرس الكافر ـ أو ناب الكافر ـ مثل أحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاثة أيام» (أخرجه مسلم).

•• كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب ••

وقد يسأل سائل ويقول: وما السبب فى ضخامة جسد الكافر إلى هذا الحد؟ بل وما السبب فى كثافة جلده على وجه الخصوص؟.

والجواب: إن نار الآخرة كما وصفها الحبيب ﷺ أشد من نار الدنيا سبعين مرة ولا يتحملها جسد الإنسان فكان لا بد من تضخيم خلقة الكافر بشكل يتناسب مع حجم النار.

وأما عن كثافة الجلد ـ على وجه الخصوص ـ لأن مراكز الإحساس كلها لا تكون إلا فى الجلد فيكون الإحساس بلهيب النار من خلال الجلد ولذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ (النساء: ٥٦).

•• عذاب أهل النار المعنوى ••

فهناك عـذاب معنوى لأهل النار ـ فوق الـعذاب الحسى ـ.

* فمـن عذابهم المـعنوى أنـهم إذا دخلـوا النار يلـعن بعـضهم بعـضًا.. قال تعـالى: ﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ﴾ (الأعراف: ٣٨).

* ومن عذابهم المعنوى أنهم يســمعون خطبة إبليس فى النار وهو يعلـن أنه خدعهم وزيّن لهم المعصـية حتى وقعوا فى نار جهنـم.... قال تعالى: ﴿ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنفُسَكُم مَّا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (إبراهيم: ٢٢).

* ومن عـذابهم المعـنوى أن الملائـكة تُبـكتهم قـبل أن يدخلوا إلى منازلهم فى نار جهنم... قال تعالى: ﴿ تَكَادُ

تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَىٰ قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ فِي ضَلالٍ كَبِيرٍ﴾ (الملك: ٨: ٩).

* ومن عذابهم المعنوى أن المؤمنين يسخرون منهم كما كانوا يسخرون منهم فى الدنيا.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا انقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انقَلَبُوا فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوا إِنَّ هَؤُلاءِ لَضَالُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ حَافِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى الأَرَائِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ (المطففين: ٢٩: ٣٦)

* قال القرطبى: يقال لأهل النار وهم فى النار: اخرجوا، فتُفتح لهم أبواب النار، فإذا رأوها قد فتحت أقبلوا إليها يريدون الخروج، والمؤمنون ينظرون إليهم على الأرائك، فإذا انتهوا إلى أبوابها أغلقت دونهم، فيضحك منهم المؤمنون ﴿هل ثُوِّب الكفَّار ما كانوا يفعلون﴾ أى هل

جوزى الكفار فى الآخرة بما كانوا يفعلونه بالمؤمنين من السخرية والاستهزاء؟ نعم.

* وأعظم عذاب أهل النار حجابهم عن الله عز وجل وإبعادهم عنه وإعراضه عنهم وسخطه عليهم، كما أن رضوان الله على أهل الجنة أفضل من كل نعيم الجنة، وتجليه لهم ورؤيتهم إياه أعظم من جميع أنواع نعيم الجنة، قال الله تعالى: ﴿ كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ * كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ (المطففين: ١٤، ١٥).

•• النار لا تأكل أثر السجود ••

قال ﷺ: «تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود حرَّم الله عز وجل على النار أن تأكل أثر السجود» (صحيح الجامع: ٢٩٠٥).

ويا لها - والله - من كرامة فالنار تأكل كل جزء من جسد العبد - إن كان من عصاه الموحدين - إلا أثر السجود فى وجهه لأنه أكرم موضع فى جسده فهو موضع السجود والذل لخالق السماوات والأرض (جل وعلا).

•• تلاعن أهل النار ••

إن أهل النـار إذا دخلوا النار يـظن كل واحد مـنهم أن صاحبه كان سببًا فى دخوله النـار، وهنا يبدأ التلاعن بينهم إضافة إلى عـذابهم الذى لا يُخفـف عنهم ولا ينتـهى أبدًا فكلما دخلت أمة لعنت أختها. كما قال الحق تبارك وتعالى مصورًا لنا تلك المشاهد التى ستحدث يوم القيامة.

﴿ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰ إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لأُولاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ النَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَكِن لاَّ تَعْلَمُونَ (٣٨) وَقَالَتْ أُولاهُمْ لأُخْرَاهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف: ٣٨ : ٣٩].

ثم يذهـب بنا القـرآن إلى مشهد آخـر فيقول الـله جل وعلا: **﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا (٦٤) خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لاَّ يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا (٦٥) يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولا ﴾**

[الأحزاب: ٦٤ : ٦٦]

إنها الحسرة على كل من فرَّط فى حق الله وفى شرع الله، وكل من سار على غير هدى رسول الله ﷺ .

فيا تُرى ما الذى جعلهم يبتعدون عن شرع الله وسنة رسول الله؟! ﴿وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلاْ (٦٧) رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٦٧ : ٦٨].

وتأمل معى عذابهم وتلاعنهم فى هذا المشهد الذى يخبر عنه الحق جل وعلا.

﴿هَذَا وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ (٥٥) جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ (٥٦) هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ (٥٧) وَآخَرُ مِن شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ (٥٨) هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ (٥٩) قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ (٦٠) قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾

[ص: ٥٥ : ٦١].

ثم يرون بعد ذلك الذين كانوا يسخرون منهم ويستهزءون بهم من أهل الإيمان قد فازوا بالرضا والرضوان ونجوا من غضب الواحد الديان، كما قال تعالى: ﴿وَقَالُوا

مَا لَنَا لا نَرَىٰ رِجَالاً كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الأَبْصَارُ (٦٣) إِنَّ ذَلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾ [ص : ٦٢:٦٤].

•• خمس دعوات لأهل النار ••

قال محمد بن كعب : لأهل النار خمس دعوات يجيبهم الله عز وجل فى أربعة فإذا كانت الخامسة لم يتكلموا بعدها أبدًا. . . . يقولون: ﴿رَبَّنَا أَمَتَّنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ﴾ [غافر: ١١] فيقول الله تعالى مجيبا لهم :﴿ذَلِكُم بِأَنَّهُ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِ تُؤْمِنُوا فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ﴾ [غافر: ١٢] ثم يقولون: ﴿ربنا أَخِّرْنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ الرُّسُلَ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَ لَمْ تَكُونُوا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ﴾ [إبراهيم: ٤٤] فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ﴾ فيجيبهم الله تعالى ﴿أَوَ لَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧] ثم يقولون ﴿رَبَّنَا غَلَبَتْ

عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ (١٠٦) رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ﴾ فيجيبهم الله تعالى: ﴿اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٦: ١٠٨] فلا يتكلمون بعدها أبدًا وذلك غاية شدة العذاب.

قال مالك بن أنس رضى الله عنه: قال زيد بن أسلم فى قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].

قال صبروا مائة سنة ثم جزعوا مائة سنة ثم صبروا مائة سنة ثم قالوا: ﴿سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مالنا من محيص﴾.

•• اخسئوا فيها ولا تكلمون ••

لقد وصف الله تعالى حال أهل النار وهم يطلبون الخروج من النار، فقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾

(فاطر: ٣٧)

* ولكنهم قبل ذلك كله يطلبون من خزنة جهنم أن يشفعوا لهم عند ربهم ليخفف عنهم يومًا من العذاب.

قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ (٤٩) قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلاَّ فِي ضَلالٍ﴾ (غافر: ٤٩: ٥٠).

فقالوا: ولماذا لا نلجأ لمالك (خازن النار) فأخذوا يصيحون ويقولون: ﴿يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ﴾ (الزخرف: ٧٧).

قال الأعمش: نُبئت أن بين دعائهم وبين إجابة مالك لهم ألف عام.

* وعن عبد الله بن عَمرو قال: إن أهل النار يدعون مالكًا فلا يجيبهم أربعين عامًا، ثم يقول: ﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾، ثم يدعون ربهم فيقولون: ﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَالِمونَ﴾ فلا يجيبهم مثل الدنيا، ثم يقول: ﴿اخْسَؤُوا فِيها ولا تُكلمون﴾ ثم ييأس القوم فما هو إلا

الزفير والشهـيق تشبه أصواتهم أصوات الحميـر أوَّلها شهيق وآخرها زفير.

•• آخر أهل النار خروجًا منها ••

قال ﷺ: «إنـى لأعرفُ، آخـر أهلِ النـار خُروجًـا منَ النـارِ، وآخرَ أهلِ الجنـة دُخولاً الجنَّـة؛ رجُلٌ يُؤتى بـه يومَ القيامـة، فيُقالُ: اعْرضوا علـيه صغارَ ذُنوبه، وارفـعُوا عنهُ كبـارهَا، فـيُقال لـهُ: عمـلْتَ يومَ كـذا وكذا، كـذا وكذا وعمـلتَ يـومَ كذا وكذا، كـذا وكذا، فيـقولُ: نـعم، لا يستـطيعُ أن يُنكـرَ، وهو مُشفـقٌ من كبار ذُنُوبـه أن تُعرضَ عليه فـيُقال لهُ: فإنَّ لكَ مكـان كلِّ سيئة حسَنـةً، فيقولُ: ياربِّ عملتُ أشياء لا أراها ههُنا» (اخرجه مسلم).

•• ذبح الموت وخلود أهل الجنة وأهل النار ••

قال رسول الـلّه ﷺ «يؤتى بـالموت كهيـئة كبشٍ أمـلح فينادي مناد: يا أهل الجنة! فيـشرئبون وينظرون فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم. هذا الموت وكلهم قد رأوه ثم ينـادي: يا أهل النـار! فيشرئـبون وينـظرون فيقـول: هل تعرفـون هذا؟ فيقـولون: نعم هـذا الموت. وكلهـم قد رآه

فيُذبح. ثم يقول. يا أهل الجنة ! خلودٌ فلا موت ويا أهل النار! خلود فلا موت ثم قرأ: وأنذرهم يوم الحسرة إذ قُضى الأمر وهم فى غفلة (وهؤلاء فى غفلة أهل الدنيا) وهم لا يؤمنون» (متفق عليه).

•• إن الأبرار لفى نعيم وإن الفجار لفى جحيم ••

فيا أيها الغافل عن نفسه المغرور بما فيه من شواغل هذه الدنيا المشرفة على الانقضاء والزوال، دع التفكر فيما أنت مرتحل عنه واصرف الفكر إلى موردك فإنك أُخبرت بأن النار مورد للجميع إذ قيل: ﴿ وَإِن مِّنكُمْ إِلاَّ وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا (٧١) ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَّنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا ﴾ (مريم ٧١ : ٧٢).

فأنت من الورود على يقين ومن النجاة فى شك. فاستشعر فى قلبك هول ذلك المورد فعساك تستعد للنجاة منه، وتأمل فى حال الخلائق وقد قاسوا من دواهى القيامة ما قاسوا، فبينما هم فى كربها وأهوالها وقوفًا ينتظرون حقيقة أنبائها وتشفيع شفعائها إذ أحاطت بالمجرمين ظلمات ذات شُعب، وأظلت عليهم نار ذات لهب، سمعوا لها

زفيرًا وجرجرة تُفصح عن شدة الغيظ والغضب، فعند ذلك أيقن المجـرمون بالعـطب وجثت الأمم عـلى الركب حـتى أشفق الأتقياء من سوء المنقـلب. وخرج المنادى من الزبانية قائلا : أيـن فلان بن فلان المسوّف نـفسه فى الدنيـا بطول الأمل المضيع عـمره فى سوء العمل؟ فيبادرونـه بمقامع من حديد ويستـقبلونه بعظائـم التهديد ويسوقونـه إلى العذاب الشديد، وينكسونه فى قعر الجحيم ويقولون له: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩].

فأُسكـنوا دارًا ضيقة الأرجـاء مظلمـة المسالك مبـهمة المهالك، يخلد فيها الأسير ويوقد فيها السعير، شرابهم فيها الحمـيم ومستـقرهم الجحـيم، الزبانـية تقمـعهم والهـاوية تجمعـهم، أمانيهم فـيها الهلاك ومـا لهم منها فـكاك، قد شُدت أقدامهم إلى النواصى واسـودت وجوههم من ظلمة المعـاصى، ينـادون من أكـنافهـا ويصيـحون فـى نواحيـها وأطرافها يا مالك قد حق علينـا الوعيد. يا مالك قد أثقلنا الحديد. يا مالك قد نضجت مـنا الجلود. يا مالك أخرجنا منها فإنا لا نعود. فتقـول الزبانية: هيهات لات حين أمان!

ولا خروج لكم من دار الهوان فاخسـأوا فيها ولا تكلمون، ولو أخرجتـم منها لكنـتم إلى ما نُهيـتم عنه تعودون فـعند ذلك يقنطـون وعلى ما فرطوا فى جنب اللّـه يتأسفون ولا ينجيهم الندم ولا يغنيهم الأسف، بل يكبون على وجوههم مغـلولـين. . . طعامـهم نار وشـرابهـم نار ولبـاسهـم نار ومهادهم نار، فهـم بين مقطعات النيران وسرابـيل القطران وضرب المـقامع وثـقل السـلاسل، فهـم يتجـلجلـون فى مضايقها ويتحطمون فى دركـاتها ويضطربون بين غواشيها، تغلـى بهم النار كغـلى القدور ويهـتفون بالويل والـعويل. ومهما دعوا بالثبور صُبّ من فوق رؤوسهم الحميم يُصهر به ما فى بطونهـم والجلود، ولهم مقامع من حديـد تهشم بها جباههم فيتـفجر الصديد من أفواههم وتنقـطع من العطش أكبـادهم، وتـسيـل على الخـدود أحداقـهم ويـسقـط من الوجـنات لحـومهـا ويتمـعط مـن الأطراف شـعورهـا بل جلودها. كلمـا نضجت جلودهم بُدلوا جلـودًا غيرها، قد عريت من اللحم عظامهم فبقيت الأرواح منوطة بالعروق، وهم مع ذلك يتمنون الموت فلا يموتون قد أُعميت أبصارهم وأُبكمت ألسنتهم، وقُصمت ظهورهم، وكُسرت عظامهم،

وُجدعت آذانـهم، ومُزقت جلـودهم، وغُلت أيديـهم إلى أعناقهم، وجمع بين نواصيهم وأقدامهم. وهم يمشون على النار بوجوههـم ويطأون حسك الحديد بأحداقهـم، فلهيب النـار سار فى بواطـن أجزائها وحـيات الهـاوية وعقاربـها متشبثة بظواهر أعضائهم. هذا بعض جملة أحوالهم.

ثم انظر إلى تفاوت الـدركات فإن الآخرة أكبر درجات وأكبر تفـضيلاً فكما أن إكبـاب الناس على الدنيـا يتفاوت فمن منهمك مستكثر كالـغريق فيها، ومن خائض فيها إلى حد محدود، فكـذلك تناول النار لهم متـفاوت فإن الله لا يظلّم مثقال ذرة، فلا تترادف أنواع العذاب على كل من فى النـار كيفمـا كان، بل لكـل واحد حدّ مـعلوم علـى قدر عصـيانـه وذنبه، إلا أن أقـلهم لـو عرضـت عليـه الدنـيا بحذافيرها لافتدى بها من شدة ما هو فيه.

قال رسول الله ﷺ : «أهون أهل النار عذابًا يوم القيامة رجل يوضع فى أخمص قدميه جمرتان يغلى منهما دماغه» (اخرجه مسلم) فانظر الآن إلى من خُفف عليه واعتبر بمن شُدد عليه. ومهما تشككت فـى شدة عذاب النار فقرب أصبعك من النار وقس ذلك به. ثم اعلـم أنك أخطأت فى القياس

فإن نار الـدنيا لا تنـاسب نار جهـنم، ولكن لما كان أشد عذاب فى الـدنيا هو عـذاب النار عُرف عـذاب جهنم بـها وهيهـات! لو وجد أهل الجحيـم مثل هذه النار لخـاضوها طائعين هربًا مما هم فيه.

فهـذه أصناف عـذاب جهنـم علـى الجملـة، وتفصـيل عمومهـا وأجزائها ومحنها وحـسرتها لا نهاية لـه، فأعظم الأمور عليهـم مع ما يلاقونه من شدة الـعذاب حسرة فَوت نعيم الجنة وفَوت لقاء الله تـعالى وفَوت رضاه، مع علمهم بأنهـم باعوا كل ذلك بثـمن بخس دراهم مـعدودة، إذ لم يبيـعوا ذلك إلا بشـهوات حقيـرة فى الدنيـا أيامًا قصيـرة وكانت غير صافـية، بل كانت مكدرة منغصـة فيقولون فى أنفسهم واحسرتاه كيف أهلكنـا أنفسنا بعصيان ربنا! وكيف لم نكلف أنفـسنا الصبر أيامًا قلائل ولو صبـرنا لكانت قد انقضت عنا أيامه وبقينا الآن فى جوار رب العالمين متنعمين بالرضا والرضوان؟ فيا لحسرة هؤلاء وقد فاتهم من الخير ما فاتهم وبُلوا بمـا بُلوا به ولـم يبق معهم شئ من نـعيم الدنيا ولذاتهـا، ثم إنهم لـو لم يشاهـدوا نعيم الجـنة لم تعـظم حسرتهم لكنها تعرض عليهم.

وقال أحمد بن حرب: إن أحدنا يؤثر الظل على الشمس ثم لا يؤثر الجنة على النار... وقال عيسى عليه السلام: كم من جسد صحيح ووجه صبيح ولسان فصيح غدا بين أطباق النار يصيح.... وقال داود: إلهى لا صبر لى على حر شمسك فكيف صبرى على حر نارك؟ ولا صبر لى على صوت رحمتك فكيف على صوت عذابك؟

فانظر يا مسكين فى هذه الأهوال واعلم أن اللّه تعالى خلق النار بأهوالها وخلق أهلاً لا يزيدون ولا ينقصون وإن هذا أمر قد قُضى وفَرغ منه اللّه تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ﴾

(مريم :٣٩).

فإن قلت: فليت شعرى ماذا موردى وإلى ماذا مآلى ومرجعى وما الذى سبق به القضاء فى حقى؟ فلك علامة تستأنس بها وتصدق رجاءك بسببها وهى أن تنظر إلى أحوالك وأعمالك، فإن كلاً ميسر لما خُلق له، فإن كان قد يسر لك سبيل الخير فأبشر فإنك مبعد عن النار، وإن كنت لا تقصد خيرًا إلا وتحيط بك العوائق فتدفعه ولا تقصد شرًا

إلا ويتيسر لك أسبابه فاعلـم أنك مقضى عليك، فإن دلالة هذا على العـاقبة كدلالة المطر على النـبات ودلالة الدخان على النار. فقد قـال اللّه تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (الانفطار: ١٣ : ١٤).

فاعرض نـفسك على الآيتـين وقد عرفت مستـقرك من الدارين.

أسأل الله (جل وعلا) أن يُجيرني وإياكم من عذاب النار ومن خزي النار.

سـبـحانـك الـلـهـم وبـحـمـدك أشـهـد أن لا إلـه إلا أنـت أستغفرك وأتوب إليك. وصلي الله علي نبينا محمد وعلي آله وصحبه وسلم.

وكتبه أفقر خلق الله إلى الله

محمود المصري

(أبو عمار)

محتويات الكتاب

* * *